والكراهة ضدّ الإرادة، وذلك بحيث يفعل تعالى فعلًا وهو كاره له، أي غير مريد له(1) -تعالى عن ذلك-، وأمّا إيجاده تعالى الفعل مع كراهته له، أي نهيه عنه(2) فجائز(3).

---

(1) قوله: (أي غير مريد له) فسّر الكراهة بما ذكر احترازًا من الكراهة الشرعيّة كما ذكره بعد؛ ولدفع ما يقال: الكراهة إنّما تقابل الإرادة إذا كانت بمعنى الميل والشهوة، فيقال: اشتهى فلان كذا وكرهه، والإرادة بهذا المعنى إنّما تكون في الحوادث، وأمّا في حقّ الله فهي بمعنى القصد، وهي بهذا المعنى لا تقابلها الكراهة. وحاصل الدفع: أنّ المراد بالكراهة: عدم الإرادة، لا بُغْضُ الشيء. واعلم أنّ بين الكراهتين عمومًا وخصوصًا من وجه: فيجتمعان في كفر المؤمن، فإنّ المولى كرهه كراهة عقليّة، أي لم يُرِدْه، وكرهه كراهة شرعيّة، بأن طلب من المؤمن أن يكفّ عن الكفر طلبًا جازمًا. وتنفرد الكراهة العقليّة في إيمان الكافر، فإنّ المولى قد كرهه كراهة عقليّة، أي لم يُرِدْه، ولم يكرهه كراهة شرعيّة، بل أمر به. وتنفرد الكراهة الشرعيّة في كفر الكافر؛ لأنّه تعالى نهاه عنه ووقع بإرادته، فوقوعه بإرادته يدلّ على أنّه تعالى لم يكرهه كراهة عقليّة. ودلّ قول م أي (غير مريد له) على أنّ التقابل بين الإرادة والكراهة تقابل العدم والملكة؛ لأنّه فسّر الكراهة بعدم الإرادة.

(2) قوله: (مع نهيه عنه) أي نهي تحريم أو تنزيه.

(3) قوله: (فجائز) أي فغير مستحيل وقوعه، ومنه قوله تعالى: {كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا} [الإسراء: 38]، قال البيضاوي: أي مبغوضًا غير مرضيّ لا غير مراد؛ لقيام القاطع على أنّ الحوادث كلّها واقعة بإرادته تعالى.

فاعلم أنّ له في طيّ ذلك حِكَمًا لا تحوم حولها العقول، فسلّم تسلم، وإيّاك أن يخالج قلبَك شيءٌ من الاعتراض وتقول: لِم كان أو لم يكن؟ أو تقع في الحيرة التي وقع فيها ابن الراونديّ، أحد زنادقة الإسلام، إذ قال:

كَمْ عَالِمٍ عَالِمٍ* أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ ... وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَرَاهُ مَرْزُوقَا**
هَذَا الَّذِي تَرَكَ الْأَوْهَامَ حَائِرَةً ... وَصَيَّرَ الْعَالِمَ النِّحْرِيرَ زِنْدِيقَا

ولله درّ القائل:

كَمْ عَالِمٍ يَسْكُنُ بَيْتًا بِالْكِرَى ... وَجَاهِلٍ يَمْلِكُ دُورًا وَقُرَى
لَمَّا قَرَأْنَا قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: ... {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ} زَالَ الْمِرَا

وكما يستحيل وقوع فعل يكرهه تعالى، أي لا يريده، وهو في معنى الإكراه والجبر، يستحيل صدور فعل منه تعالى مع الذهول والغفلة، أو بطريق التعليل أو الطبع؛ لأن ذلك كلّه ينافي الإرادة بمعنى القصد. انظر الصغرى وحواشيها.

* قوله: (كم عالم عالم) المشهور: (كم عاقل عاقل). ** قوله: (تراه مرزوقا) المشهور: (تلقاه مرزوقا).

والـجهل ضدّ العلم[1]، ويدخل فـي الـجهل: الظنّ، والشكّ، والوهم، والنسيان، والنوم، وكون العلم نظريًّا ونحو ذلك[2]؛ لـمنافاتها العلم كمنافاة الـجهل له.

---

(1) قوله: (ضدّ العلم) الـمراد به كلّ مناف للعلم من جهل بسيط، وهو: عدم العلم بالـمقصود عمّن شأنه العلم، وذلك بـأن لا يـدرك الشيء أصلًا، لا على ما هو به ولا علـى ما هو خلاف ما هو عليه، ومركّب، وهو: إدراك الشيء علـى خلاف ما هـو عليـه فـي الواقـع، وقيل فيه مركّب؛ لاستلزامه لـجهلين، والتقابل بين العلم والـجهل البسيط من تقابـل العـدم والـملكة، وبينـه والـمركّب مـن تقابـل الضدّين؛ لأنّهمـا أمران وجوديّان يستحيل اجتمـاعهمـا فـي مـحلّ واحد، وبينهمـا غاية الـخلاف، وقولنا: (عمّن شأنه العلـم) احـتراز من عدم العلم عن الـجدار والـحمـار -مثلًا-، فلا يسمّى جهلًا، وعلـى هذا فلا يصحّ قول القائل:

قَــــالَ حِمَــــارُ الْحَكِيـــــمِ تُومَــــا ... لَــــوْ أَنْصَفُونِــــــي كُنْــــــتُ أَرْكَــــبْ
لِأَنَّنِـــــي جَاهِــــــلٌ بَسِــــــيطٌ ... وَرَاكِبِــــــي جَاهِــــــلٌ مُرَكَّـــــبْ

إلّا أن يقال: الـمراد بجهل الـحمـار: عدم انتفاعه؛ لأنّ الـجهل يستلزم عدم الانتفاع، بذكر الـملزوم وإرادة اللازم، قاله الفنري.

(2) قوله: (ونحو ذلك) أي ككونه ضروريًّا لاستلزامه سبق الـجهل؛ إذ الضروريّ هو الذي تكون النفس خالية منه فـي مبـدأ الفطرة، ثمّ يحصل لها بالتدريج، وكونه إجماليًّا لاستلزامه الـجهل بالتفصيل، وكونه حاصلا بالًاختبار لاستلزامه سبق الـجهل، وأمّا قوله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْـمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ} [محمد: 31] ونحوه من الآيات فالـمراد بالاختبار فيه: إظهار ما خفي من الأشياء، أي إبراز بعض الـمعلومات الـمغيّبات لبعض العباد، فقوله: {حَتَّى نَعْلَمَ} أي حتّـى نظهـر متعلّـق علمنا، تعبير باللازم عن الـملزوم، ولك أن تقول: أسند العلم للمتكلّم وأريد غيره، على حدّ: {وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يس: 22] قال العلمـاء: وما لكم لا تعبدون الخ. ويدخل فـي الـجهل بالتفسير الـمذكور: التعجّـب والاسـتفهام الـحقيقيّان؛ لأنّ التعجّب استعظام زيادة خفي سببها على الـمستعظِم، وما ورد من ذلك فتعجيب للسامع، كقوله تعالى: {فَمَــا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ} [البقرة: 175] وقرئ: {بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ} [الصافات: 12] بضمّ التـاء، وأمّـا الاسـتفهام الـحقيقيّ فلأنّه استعلام، فهو ملزوم للجهل، والاستفهام منه تعالـى إمّا للإيناس وإزالة الدهش، نحو: {وَمَـا تِلْـكَ بِيَمِينِـكَ يَـا مُوسَـى} [طه: 17]، أو لإظهار الـجواب نحو: {أَوَلَمْ تُؤْمِنْ} [البقرة: 260]، أو لإظهار ما يترتّـب علـى الـجواب، كقولـه للملائكـة الذين يتعاقبون فينا: (كيف تركتم عبادي؟ وهو أعلم بهم، فيقولون: أتيناهم وهم يصلّون وتركناهم وهم يصلّون)، ويدخل فيه أيضا: الغشيان، والإغمـاء، والسُّكر، والسِّنَة، والغفلة، ودعاء العباد ربّهم وبثّ الشـكوى لـيس للتـذكير والتنبيـه بـل لإظهـار وصف العبودية من الفاقة والتذلّل، نحو: {رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي} [مريم: 4]، أو التحسّـر نحـو: {رَبِّ إِنِّي وَضَـعْتُهَا أُنْثَـى} [آل عمران: 36] ولهذا عقّبه بقوله: {وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ} [آل عمران: 36].

ثمّ عِلْمُه تعالى لا يقال فيه: تصوّر أو تصديق؛ لإيهامهما انطباع الـمعلوم فـي النفس.

والـممـات ضدّ الـحياة[1] .

(1) (ومـمـات) اسم مصدر، بمعنى الـموت. قوله: (والـممـات ضدّ الـحياة) أي لأنّ الـموت عند أهل السنّة: صفة وجوديّة قائمة بالـميّت يمكن رؤيتها تمنع اتّصافه بالإدراك، ويدلّ له قوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْـمَوْتَ وَالْـحَيَاةَ} [الملـك: 2] والــخلق إنّمـا يتعلّق بالـموجود.

وقيل: إنّ الـموت عدم الـحياة عمّـا عن شأنه أن يكون حيًّا، وعلـى هذا فالتقابل بينهمـا من تقابل العـدم والــملكة، وأجـابوا عن الآية بأنّ الـمراد بالـخلق التقدير، وهو يتعلّق بـالوجوديّ والعـدميّ، أو فـــي الكـلام حـذف مضـاف، أي خلـق أسـباب الـموت.

وقيل: إنّ الـموت عدم الـحياة مطلقًا، فالـجمـاد يوصف بالـموت على هذا القول دون القولين الأوّلَيْن، والتقابل بينهمـــا مــن تقابل النقيضين.

ثمّ الظاهر أنّ الـمراد بالـموت في كلام الناظم: الـجمـاديّة خصوصًا، أمّا الـموت الطارئ على الـحياة فيدخل فـي الفناء.